قراءة أنثروبولوجية لطقوس زيارة المرأة للأولياء الصالحين في منطقة القبائل

Anthropological Reading of Women'sRitualVisits to Saints in the Kabylie Region.

باحثة دكتوراه محفوفي عقيلة1 أ.د مولاي الحاج مراد 2

[1]جامعة وهران (2) محمد بن احمد (الجزائر)[2]جامعة وهران(2) محمد بن احمد (الجزائر)

mhmourad@yahoo.frakilamahfoufi385@gmail.com

تاريخ الإرسال: 20226/01/18 تاريخ القبول: 2026/06/11 تاريخ النشر: 2026/07/09

ملخص:

زيارة المرأة للأضرحة والأولياء الصالحين من الطقوس التي عرفتها المجتمعات وحافظت عليها كمنظومة معقدة من الممارسات يتشابك فيها الاجتماعي بالثقافي، والديني بالطقوسي والرمزي. حيث تجذب اليها الافراد من كلا الجنسين (ذكور، اناث) في مكان مقدس مشحون بالمشاعر والروحانيات، وهي ما يعرف بالولي، الشيخ، المرابط...الخ وغيرها من التسميات. ومنطقة القبائل كغيرها من مناطق المغرب العربي والقطر الجزائري لها أوليائها الذين تتبرك بهم وتعتقد في قدراتهم الخارقة على جلب الراحة والبركات وتحقيق الرغبات والامنيات كفعل ديني يتجسد من حلال تلك الزيارة وما تشتمل عليها من طقوس وممارسات تتشابك فيها الرموز والمعاني والمعتقدات، التي تربطهم بالعالم المقدس. وبالتالي فإن فهم هذه المنظومة يستوجب منا كباحثين انثروبولوجيين الدخول إلى عمق الحدث والتفاعل مشاركين فيه لفك شفراته وفهم مضامينه متسائلين عن الدور الذي تلعبه زيارة الاضرحة في منطقة القبال. وذلك ما تصبو إليه ورقتنا البحثة هذه.

الكلمات المفتاحية: الزيارة؛ الولي؛ الضريح؛الطقوس.

Abstract :

Visitingmausoleums and local saints (awliyā') constitutesa long-standing ritual practice withinmanysocieties, preserved as a complex system in which social, cultural, religious, ritual, and symbolic dimensions converge. Thesesacred sites attractindividuals of bothgenders. Like otherregions of the

Maghreb and Algeria, Kabylie possessesitsown network of saints to whom local populations express forms of devotion. Such practices are grounded in beliefs in the saints' extraordinarycapacities to provide baraka, emotional relief, protection. Understandingtheseritual practices requires, as a researcher in anthropologyrequired to be in the heart of the event and participatingwiththem in order to understand the meaning of symboles and ritual. The presentpaper as objective to examine the role and signification of mausoleum visitation in the Kabylie region.
Keywords : mausoleum, ritual, the visit, saint

المؤلف المرسل: محفوفي عقيلة، الإيميل: akilamahfoufi385@gmail.com

1– مقدمة:

تُعتبر زيارة الأضرحة والأولياء الصالحين فعلاً دينياً وطقساً روحانياً متجذراً في المخيال الفردي والجماعي يصعب محوه او المساس به. فهو يجمع بين الطقوس الاحتفالية والدينية، يقصده النساء والرجال من كل الجنسين، يَحْضُرُونَ ويُحَضِرُونَ له (الزيارة) وكلهم رجاء في حصول البركات وتحقيق الامنيات. وذلك الذي نعرفه باعتبارنا جزء من مجتمع البحث انتماءً وهوية، ووقفنا عليه اثناء مشاركتنا في طقوس الزيارة **لزاوية الشرفاء** بهلول ابن عاصم بقرية الشرفة **بعزازقة** حيث يتبرك ساكنة القرية بوليهم ويثقون ببركاته وطاقته مما يجعلهم يحجون اليه (الضريح) دون كلل او ملل سواء في الأيام العادية او في المناسبات الدينية رغم التطور والتقدم التكنولوجي الذي تشهده كل جوانب الحياة (صحة علاج، راحة...) الا ان مجتمع البحث ما يزال يؤمن بزيارة الاولياء والوقوف على الاضرحة لبلوغ النوايا وتحقق الدعواتوتعتبر المرأة المحرك الحقيقي للطقس وما تحويه تلك الزيارة من ممارسات تعبدية وطقوس احتفالية تجميع بين الديني والطقوسي وبين المقدس والمدنس، تقام عند الضريح (اشعال الشموع، الذبح، قراءة القرآن الدعاء...الخ) بنية الخير والبركات والرضى من هذا

باحثة دكتوراه محفوفي عقيلة1 أ.د مولاي مراد الحاج2
[1]جامعة وهران (2) محمد بن احمد (الجزائر[2]جامعة وهران(2) محمد بن احمد (الجزائر)
frakilamahfoufi385@gmail.com .mhmourad@yahoo

الولي الذي يرونه ملاذهم بعد الضعف وقبلتهم عند الطلب والرجاء. وان الاهتمام بهذا الموضوع يطرح العديد من التساؤلات وذلك ما جعلنا نبحث ونتقصى لفهم الفعل والممارسة من خلال السؤال الرئيسي التالي:

- ما هو الدور الذي تلعبه زيارة الاضرحة في منطقة القبائل؟

تندرج تحت هذا السؤال الرئيسي أسئلة فرعية تتمثل في:

- ما هي الرموز والدلالات التي يحملها طقس الزيارة؟
- كيف يتم تدبير ورسم الحدود بين المقدّس والمدنّس خلال طقس الزيارة؟

2. طقوس الزيارة ممارسات ومعتقدات:

1.2. الجهاز المفاهيمي للبحث:

- **مفهوم الزيارة:** تعني في اللغة التوجه والقصد الى فضاء او مكان من اجل لقاء قريب او صديق او أي أحد من الأقارب وتقترن في الغالب بالمناسبات والافراح والاحزان. فمن زار قوما مال إليهم.(الميلي، 2001، صفحة 337) وان كلمة زْيَارَة تعني معان كثير منها المرتبطة بالأماكن المقدسة " الحج" او المرتبط بالقبور والاضرحة والاولياء الصالحين، حيث ترسخت هذه الأخيرة في المخايل الشعبي للمجتمع الجزائري وقدسها، وجعلتها واجبا لنيل البركات والرضى، يحرص فيها الوافدين على الدعاء والانكسار للأولياء لكسب رضاهم وتحقيق حاجاتهم.

- **مفهوم الولي:الولي (وليّ)** الشخص الذي يقصده الناس بالزيارة للتبرك لاعتقادهم الراسخ به وبقواه وقدسيته التي تجلب اليه الزائرين من كل الاطياف والطبقات. تعني الحامي والرفيق والصديق وكما هي وصف للرجل المقدس الذي يُعتقد ان له قوة غيبية خارقة قادرة عل الشفاء من الامراض والاوجاع ومنح البركات. وهوفي الجزائر والمغرب العربي (الشيخ، سيدي، مُرابط...) الذي يلتف حوله الناس يدعونه ويتضرعون له، وهو بذلك يحظى بتكريمهم. كما يعتقد في قدراته في الاتيان

بالكرامات وصنع المعجزات باعتباره كائنا له قدرات خارقة من البركة الإلهية (ادموند، 2014، صفحة 36)

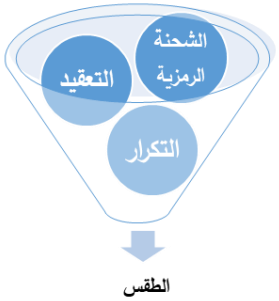
- **مفهوم الضريح:** يدل الضريح على القبر، وتعني ذلك البناء المشيد على القبر أحيانا تعلوه قبة اويكون مغطى بقطعة قماش، وهو معلم قدسي طقوسي تجتمع فيه الهيبة بالعظمة والصلاح. له حرمة خاصة عند المسلمين وهي تنتشر في المناطق الريفية والمدينية على حد السواء. فالضريح (مْرابط) في المخايل الشعبي المحلي رمز التقوى والصلاح والمنزلة الرفيعة عند الله، ومكان للبركة. والولي هو الذي يصل بين الحياة والموت لأنه وان مات يظل حيا في فكر الناس يتصلون به عن طريق ملامسة ضريحه او رؤيته في الكلاموكرماته تمكنهم من الانتصار على المرض والعجزوالعقم والفقر والظلموالحزنوالعنوسة وحتى الموت(سيراج، 2004، صفحة 37)

- **مفهوم الطقس:** تعني جميع العادات التي تحمل الطابع الفردي والجماعي، ينتظم حولها الاحتفال الذي نسميه طقسا.وهي حسب **طوالبي** أساطير تتحرك(طوالبي، 1988، صفحة 35) للطقس تنظيم محكم وقواعد متعارف عليها بالنسبة للفرد والجماعة الممارسين، بحيث يحدث التكرار (الزيارة) وفق تراتبية زمنية مضبوطة، وقتية (**موسمية**) تسمح لهم بالتكرار عبر مناسبات (**عاشوراء**) مهمة بالنسبة للفرد والجماعة، حيث تسمح بديمومة الحدث الذي اوجده (الأسطورة) الذي يحيل الى المتخيل الجمعي (الجد، الشيخ الولي، ...) يعمل على تحيين مشاعر وتجارب مقدسة تحمل ممارستها شحنة رمزية دفاعية مشحونة بالرموز والمشاعر. فالضريح محرك طقوسي يُعْتَقَدُ في قواه الخارقة وقدرته الغيبية على تحقيق الأمنيات وجلب البركات ولذلك عدت الزيارة طريق الخلاص تبدأ بالنية وتنتهي بالوقوف على الضريح يعاد فيها انتاج الممارسات الطقسية كرأسمال رمزي.

2.2. الولي الصالح في المخيال الشعبي:

باحثة دكتوراه محفوفي عقيلة1 أ.د مولاي مراد الحاج2
[1]جامعة وهران (2) محمد بن احمد (الجزائر[2]جامعة وهران(2) محمد بن احمد (الجزائر)
frakilamahfoufi385@gmail.com mhmourad@yahoo.

الضريح في المخيال الشعبي رمز التقوى والصلاح والمنزلة والرِفْعَه باعتباره فضاء يرقد فيه ولي صالح (**مْرَابَطْ**) فلا تكاد تخلو كل مدينة او قرية في الجزائر من ضريح أو قبة لولي صالح او أكثر. حيث تحتفظ الذاكر الجماعية بمخزون ثقافي رمزي حول كرامات الأولياء الصالحين. وذلك الذي وقفنا عليه ميدانيا اثناء تواجدنا بقرية الشرفة حول كرامات الولي **بهلول ابن عاصم** بقرية الشرفة **بعزازقة**



قبلة الزائرين ومنجاتهم.

أ-**كرامات الولي الصالح**: الروايات حول الولي تشيد بركاته حسب التناقل الشفوي بين سكان

المنطقةحيث ان الولي له بركات معروفة حسب ما روى لنا المخبرين وبعض الزائرات من النساء اللواتي قابلناهن في مختبر الدراسة، حيث تحدثن عن قدراته على الشفاء وتحقيق الاماني المقترن بدخول الضريح وأداء الطقوس (الدوران، اشعال الشموع الدعاء، البكاء...) فالاعتقاد في قدرات الولي الخارقة تجذب اليها المضطهدين والضعفاء والمحتاجين الباحثين عن الخلاص. وتعتبر المرأة الضريح ملاذها بعد التعب والمرض والاحزان، تلجا إليه لحاجتها لقواه الروحية القادرة على مساعدتها ورفع الأذى.

ب- **الولي والهيمنة الرمزية:** يعتبر النسب الشريف مهم لاكتساب الولاية. فالضريح كفضاء

مقدس له أهمية كبيرة في المخيال الشعبي وتظهر تجلياته في المكانة التي يلعبها من خلال تأثيره العميق في الحياة الاجتماعية والثقافية والتي كانت ومازالت راسخة في ذاكرة حياتنا. وتظهر هذه الأهمية البالغة في زيارة النساء والرجال للأضرحة على اختلاف أعمارهم ومستوياتهم الاجتماعية والثقافية سواء خلال المناسبات الدينية او في الأيام العادية لما تحمله الزيارة من رموز ودلالات تهيمن على فكرهم ومشاعرهم. مما يجعلنا أمام تنظيم قبلي يمثل ذلك الادراك المشترك لقدسية الولي واحساسهم بالانحدار من أصل واحد (**الشرفاء**) ومن أصل مشترك يحدد وهويتهم المدركة كبناء منظم، حيث تلعب اللهجة المحلية (**القبائلية**) الدور المنظم للعلاقات التواصلية وزيادة الترابط داخل الفضاء الطقسي.

ج- **الضريح كنص طقوسي:** يحضر جسد الضريح الطقوسي (مُرابط، الولي) داخل فضاء الزيارة (الموسم) بوصفة لحظة قدسية تكرارية ليست تِذْكارية وتَذْكيرية فقط بل مُتَمِّمة لسيرورة زمنية قدسية، انها حسب نور الدين الزاهي انها عودة مستقبلية باتجاه اللحظة الأولى.(الزاهي، 2005، صفحة 53)تمثل خَلاص للزائر (الانثى) ويمنحها القوة الفعلية والممكنة بعد الضعف تظهر من خلال الحركات داخل الضريح (رفع اليد بالدعاء، بكاء العين، حركات الجسد والطواف...) يتجسد فعل التحرر من كل هيمنة وانتهاك.

3.2 مواسم زيارة الأولياء الصالحين:

يشهد الأولياء الصالحين قدوماً من كلا الجنسين على سائر الأيام والسنة وفي المناسبات الدينية. فالوافدين يُقَدّمُون الأضاحي ويُشْعِلُون الشموع ويُخْضِرون قِطَع القماش التي تُغطِّي الضَّريح باسم البركة والكرامة التي يَعتقد فيها الجميع لقضاء حوائجهم وتعجيلها، وذلك الذي وقفنا عليه

باحثة دكتوراه محفوفي عقيلة1 أ.د مولاي مراد الحاج2
[1]جامعة وهران (2) محمد بن احمد (الجزائر[2]جامعة وهران(2) محمد بن احمد (الجزائر)
mhmourad@yahoo. frakilamahfoufi385@gmail.com

ولاحظناه من تقبيل للضريح والدوران والدعاء وغيرها من الممارسات النسوية. حيث لا تدرك المرأة رمزية هده الممارسات غير انها تحرص عليه، وتمنحها الزائرات سلطة وقداسة ذات معنى ديني وطقوسي، ويحكمها اعتقاد في قوة الولي الحاضر عند كل طلب والمؤثر في كل الموجودات. فَتُصْلِحُ حياة الناس وتُغَيِّرها من خلال الطلب والاستعطاف. حيث يستقبل الضريح زواره من كلا الجنسين غير ان المعنيات بدخول الضريح هن النساءدون الرجال وذلك المتفق عليه اجتماعيا وله العديد من الدلالات والمعاني، التي يربطها مجتمع البحث بالمرأة (مرض، تأخر زواج، تأخر إنجاب،) وان الخلاص لا يكون الا من خلالها والمتجسد في الزيارة حيث تحضر المرأة برفقة الرجل (زوج، اب، اخ....) وتتفرد بالدخول للضريح في لحظة سكون مشحونة بالمشاعر المتعلقة ببركات الولي في الخلاص من هذه الهيمنة والسلطة بحصول الرغبة وبلوغ الأمنية وتحققها. وان هذه الزيارة لها مواسم مختلفة يمكن تصنيفها:

أ- **مواسم يومية:** يستقبل الضريح زواره من كلا الجنسين في سائر الأيام دون تفضيل ليوم على آخر ولا لشهر أو موسم دون غيره، حيث يحضر الجميع وهم يحملون أمانيهم ودعواتهم للولي الصالح وهم يحملون القرابين (ذبيحة، كبش) والهبات والعطايا (مال، قماش، فواكه، طعام...) كما ان الزائرين يضعون هباتهم من المال في الصندوق المخصص لذلك لكي تقبل زيارتهم وتتحقق غاياتهم وأمنياتهم ومنهن من يعقدن النذور في حالة تحقق الامنيات وبلوغ الغايات بالوفاء والعودة للزيارة وكلهن رجاء وتضرع للولي دون سواه. تعبر عن الصدقة والقربة للولي لنيل البركات، ويأكل منها من تحققت له الزيارة وحضر الى الضريح فليس هناك توقيت زمني تحدد فيه الزيارة وممارسة الطقوس .

ب-**مواسم موسمية:** ان تواجدنا بالميدان في يوم عاشوراء كطقس موسمي سمح لنا بملاحظة أدق

التفاصيل من ممارسات وطقوس بالإضافة الى التسجيل الصوتي حتى لا تضيع منا بعض الجزئيات التي يحتاجها عملنا، في حين منع منا التصوير الفوتوغرافي داخل الضريح لأنه يتعلق بالمرأة (الطابو) فلا أحد سواها معني بالدخول للضريح. وعليه فإننا كانثروبولوجين نرى ان زيارة الولي الصالح مقترن بعاشوراء التي اكسبته قدسية مصحوبة بممارسات وطقوس تزيد الانجذاب للولي الذي جمعهم على وليمة يذبح فيها عجل يشترك الأهالي في شرائه وأكله دون تمييز ويستقبل مختلف الزائرين من كلا الجنسين كبارا وصغار. ينتج من خلاله رأسمال اقتصادي يبنى على الوافدين ويستفيد منه الخدام القائمين عليه، وتبرز فيها حاجة الجميع الى ممارسة تلك الطقوس واستمرار الزيارة لاستمرار حياتهم دون عقبات. وتختلف الممارسات الطقوسية اليومية عن الموسمية في حضور الذبيحة التي تعتبر طقس جماعي يقرب الأرواح ويرضي الولي الذي جمعهم عند حضرته ووَحَّدَهُم، حيث ان الزائرات اللواتي قابلناهن أكدن لنا ان الزيارة لا تخلو من طقس الذبيحة خاصة في طقس عاشوراء الذي ما يزال يقام الى اليوم ويجذب اليه الكثيرين، حيث يتم التحضير له بمدة (شراء الاضاحي، المؤونة...) ويشترك في اعداده النسوة بينما يبقى طقس الزيارة المتعلق بالدخول للضريح خاص بالنساء دون الرجال وما يهمله من دلالات ورموز.

3. زيارة المرأة للأضرحة معتقدات وطقوس:

الطقوس تعبر عن ممارسات إما تكون فردية أو جماعية تترجم مشاعرهم وما يعتقدون به وتترجم أفكارهم ومعتقداتهم كما تقوم على أحيائها باستمرار حيث لا يمكن فصل الطقوس عن المعتقدات، ومنه فإن طقوس زيارة الأضرحة تتمثل في الاعتقاد القوي والراسخ في قدراتهم على التأثير على حياتهم اليومية، فهي تحمل دلالات رمزية لا تتكشف وظيفتها ولا طبيعتها الوجدانية إلا من خلال المعتقدات القدسية حول هذا المعلم القدسي المحبب، مخيف يستدعي الحذر، يتجسد فيه الترابط بين ما هو **ديني وطقوسي** في فعل الزيارة. ذلك الخيط الرفيع بينهما لا يمكن انكاره ولا

باحثة دكتوراه محفوفي عقيلة1 أ.د مولاي مراد الحاج2
[1]جامعة وهران (2) محمد بن احمد (الجزائر[2]جامعة وهران(2) محمد بن احمد (الجزائر)
frakilamahfoufi385@gmail.com mhmourad@yahoo.

تجاوزهما. تتشابك فيه الممارسات والطقوس حول الضريح، ذلك المكان الرئيسي داخل المجمَّع الطقسي(رشيق، 2010، صفحة 24)ويستعمل سكان مختبرنا البحثي لفظ (مُرابطْ) للإشارة اليه عوض (الشَّيْخْ، الولي) الت تُستعمل في باقي مناطق الجزائرتبدأ منذ بداية رحلة زيارة الضريح الى حين مغادرة فضائه. وللإشارة فإنها زيارة ولينا الصالح **بهلول ابن عاصم** طقوس انثوي تُبنى عليه حاجات ذات دلالات تؤكد هيمنة الرجل ودونية المرأة، سلطة لا مرئية تُخضعها بتواطؤي أولئك الذين يأبون الاعتراف. فحينما يصبح الدخول للضريح انثويا من دون الرجال فهذا ترسيخ للمفهوم وتأكيد للاعتقاد، فهي المعنية بالدعاء والمعنية بالزيارة لتستعيد طاقتها.

1.3زيارة الولي الصالح خلاص الانثى وملاذها:

لقد عرفت المرأة في المجتمع القبائلي عند الدارسين السوسيولوجيينوالانثروبولوجيين**'بيير بورديو'** تابع للسلطة الذكورية مهيمن عليها داخل الاسرة (الاب، الزوج، الأخ، الابن...) يضعها داخل قيود اجتماعية تجعل منها تابع نحكمها معايير وقيود تحدد قيمتها ومكانتها وادوارها (الانجاب الزواج...) حيث تشعر بالاضطهاد والقهر التي تتحرر منها لحظة الطقس، حيث تجد في طقوس الزيارة متنفسها كما اخبرتنا المبحوثاتانها تمثل لهن لحظة استغاثة من تلك الهيمنة التي تضعفهن للتخلص من كل ما أُلحق بها وحملها أعباء الحياة ومسؤولياتها. فهي تقف بين يدي الولي تشكوا له ظلم المجتمع كله الذي رآها مذنبة ترجوه ان ينصفها ويخلصها ويبرئها (دبما احنا المسؤولات على المرض، الولادة وكلش بصح الراجل خاطي) لذلك بني الطقس على الانثى التي تدخل الضريح مكسورة مجبورة علاها تجد الخلاص، وبالتالي تستمر الهيمنة والسلطة التي توشمها وتقيدها. ذلك الضمير الجمعي الذي يترجم المعتقدات حول الولي والمرأة في نفس الوقت. حيثتلجأ المرأة القبائلية الى الزاوية الشريفة للوقوف على الضريح الذي يتموقع داخل غرفة صغيرة بها نافذة تدخل منها الشمس وتغيب، تحضر المرأة برفقة الرجل (زوج، اب، اخ...) وهي تحمل الكثير من

الاماني والرغبات تقترب بضعفها الى قوة الولي، تتقوى منه وهي تستبطن النظام الاجتماعي الذي يراها منقوصة، فهذا الضريح فضاء للحرية والافصاح عن مشاعر القهر والتمرد على الهيمنة التي كبتت صوتها ورغباتها ونسبت اليها كل نقص، تعبر عن رغباتها بالدعاء وتناجيه سرا بما تعانيه من قهر والم ورغبتها في التخلص منها، ترى فيه الخلاص. حيث أن الزيارة تكون على مدار السنة ضمن انشغالاتهن التي تجمع النساء بالضريح وبين الرابط الاجتماعي والهوية الاجتماعية. فمن خلال الملاحظة المباشرة لحضنا ان النساء يقمن في البداية بخلع حذائهن امام باب الضريح تقديسا لمكانته وبعد دخولهن يقفن امام الضريح لقراءة شيء من القرءان ثم يمسحن وجوههن بالقماش الذي أغطي به الضريح. بعد ذلك يقمن بسبعة أشواط أي يدرن حول الضريح سبع مرات ثم يقمن بإشعال الشموع ويجلسن داخل الضريح حسب المدة الزمنية التي سمح بها كما يقمن أيضا بتقديم النقود طالبا الحظ واستجابة للأدعية ورفع الأذى وهذا يختلف من امرأة لأخرى حسب دافع الزيارة. يخرجن من الضريح وهن دائرات وجههن للضريح أي لا يدرن ضهرهن للضريح تقديسا له نظرا للمكانة التي يلعبه في مخايلهن. تختلف اسباب زيارة النساء للأضرحة فقد يكون البحث عن الراحة والطمأنينة او الشفاء من الامراض او التبرك بقداسة المكان لان الولي يرتبط بالبركة. هذه الزيارة أتت من العادات القديمة التي رويت من طرف الأجداد ببركة الولي الصالح وعن كراماته من خلال المقابلة مع المبحوثات.

إن زيارة الانثى للأولياء الصالحين علاقة حميمية تعيد ترميم الروح والجسد وتبنى علاقة روحانية اثناء الحدث وبعده عرفتها العديد من المجتمعات في رحلة البحث عن الراحة والبركة، فجعلت لها أياما ومواسم وكلها يقين ان المرجو سيحصل، فلا حاجة للشك او الريبة لأن الضريح أو الولي هو مركز اشعاع غيبي يجلب لها الخير ويحقق الأماني والبركات. هذه الشخصية ان صح تسميتها بشخصية (**الولي، مْرابط**) تلعب أدوار عديدة في حياة الافراد والمجتمعات خاصة الأنثى

باحثة دكتوراه محفوفي عقيلة1 أ.د مولاي مراد الحاج2
[1]جامعة وهران (2) محمد بن احمد (الجزائر[2]جامعة وهران(2) محمد بن احمد (الجزائر)
frakilamahfoufi385@gmail.com mhmourad@yahoo.

التي تعتبرها مفتاح الطقس ومحركه. ورغم التغيرات السوسيوثقافية والاقتصادية والسياسية ما تزال زيارة الانثى للأولياء الصالحين والاعتقاد في بركاتهم يطبع مجتمعنا الجزائري ومجتمع البحث خاصة. حيث ان الانثى تركن دوما إليهم متى احست الضعف والمرض وكلما تمنت وأرادت (زواج، مرض، إنجاب، نجاح...). حيث تقصد الضريح مكسورة مقهورة، تستبطن ضعفها وتبرره أحيانا أخرى، حتى يتسنى لها التكيف في هذا السياق الاجتماعي المقلل من شأنها والمهيمن عليها في مجتمع ما يزال يراها ضعيفة ومنقوصة. فمهما بلغت من مكانة اجتماعية وثقافية ماتزال تبحث عن الأمان والراحة التي تطلبها من الولي (**مْرابط**) متى شعرت بحاجتها لذلك (فك تعطيل الزواج، الانجاب الصحة....) من خلال تلك الممارسات والطقوس المتوارثة والتي تحرص عليها الزائرات للضريح ويشترط الحفاظ عليها للنجاة من غضب الولي وسخطه عليهن. كما ان الزيارة بالنسبة للنساء هي ملاذهم بعد التعب والحاجة، تمنحهم الراحة وسط شبكة من المعتقدات الدينية والمعنوية، وتحقق لهم ما عجزت الوسائل العلمية على تحقيقه (العلاج، الانجاب، فك السحر...) وعلاج ما استعصى عليه الطب الحديث من علاج للأمراض خاصة ما تعلق بالأمراض العقلية والنفسية الذي تفشل الأدوية في علاجها، مما يدفع لزيارة الضريح او الولي الصالح حيث يُطَهَّرْ الجسد وتُطْرَدُ الشرور والأرواح الشريرة وتداوى النفوس وترتاح. وذلك الذي يترجم استمرار الزيارة وقداسة الولي الحاضرة على الدوام كاستجابة روحية وسيكولوجية تتوافق مع الحس المشترك وتنسج مع النسيج السوسيو ثقافي المعتقد الاجتماعي وأشكال المعتقدات المحلية(الزاهي، المقدس الاسلامي، 2005، صفحة 52)حسب الحاجات والانتظام الزمني:

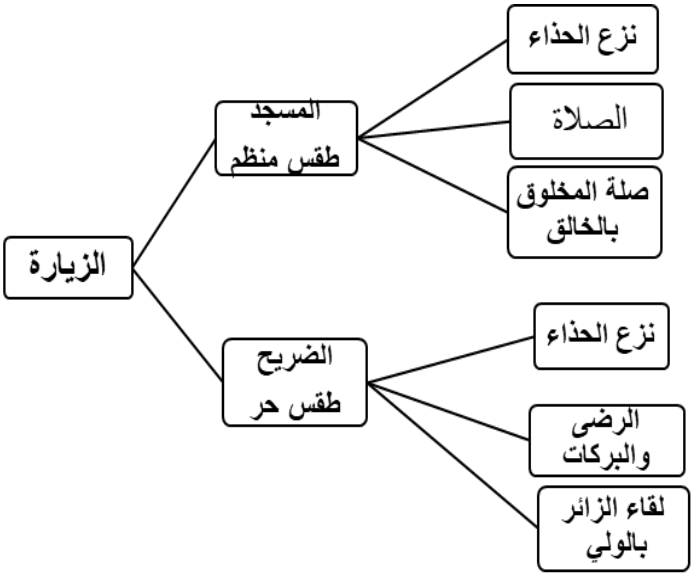
أ-**تحقيق الاماني وقضاء الحاجات**: تقصد النساء الولي لقضاء الحاجات وطلب الشفاء من المرض والأسقام أو طلب الزواج والانجاب، صلاح الأبناء، فض النزاعات أو حتى الدعاء على من ظلمهن. فالحاجة كبيرة يتقرب بها الوافدون إلى الولي بالدعاء والتضرع له لأن الشائع ان من

زاره(الولي) قضيت حاجته وبلغ مقصده. فهو بالنسبة لهم مصباح علاء الدين السحري الذي يحقق الامنيات. يكتس هالة من الاحترام والتبجيل والوقار مستمدة من قداسة الولي والضريح، يشترك فيه الدنيوي بالقدسي.

ب- **زيارة الشكر وتحقق النذر**: لا تقتصر الزيارة على الدعاء والطلب، قد تكون للشكر وتحقق النذر مهما كان الطلب والمراد (شفاء، زواج، إنجاب...) تعتبرها المرأة واجب وضرورة لدوام الخير والبركات التي يحصل عليها بعد الشكر، ويفضل ان تكون زيارة الشكر متتالية يحافظ عليها من

حين الى آخر ومنهن من يتعلق بالزيارة التي تعتبر بالنسبة لهن طقس استحواذي لا يمكن مقاومته خوفا من حصول اللعنة وذهاب النعمة او حصول اللوم الذي يحصل من خلال إشارات لا تفهمها الا هي سواء في حدث يحصل أو منام يُرى " **إذا انقطعت زيارتك بعد ما تحقق طلبك يجيك الولي في المنام يلومك**" ومنه فضرورة الوفاء شرط لدوام النعمة والخيرات والبركات. وان هذه الزيارة والبحث عن الراحة والبركاتالتي انتهجتها المجتمعات في حقب كانت بحاجة لهذا الفعل ماتزال حاضرة اليوم رغم التغيرات، ومازال الاعتقاد في طاقتهم وروحانياتهم التي أصبحت جزء من البنى الرمزية والثقافية الظاهرة من خلال الممارسات الطقسية التي تتولد امام الضريح. نعطي دلالة للولي ورمزية على القوة تتجسد من خلال الزيارة والدعاء عند الضريح وما يمنحه الفعل من راحة واستقرار نفسي وبركات من حلال التقرب له والوقف بين يديه كفعل طقوسي يتجسد فيه المعنى الديني والايماني.

باحثة دكتوراه محفوفي عقيلة1 أ.د مولاي مراد الحاج2
[1]جامعة وهران (2) محمد بن احمد (الجزائر[2]جامعة وهران(2) محمد بن احمد (الجزائر)
frakilamahfoufi385@gmail.com mhmourad@yahoo.



ففي المعتقد الشعبي لمجتمع بحثنا الولي محبوب مقترن بالرضى الإلهي، وان مظاهر الزيارة هي احياء للمقدس الديني المتجسد في الدنيوي القائم على قوى سحرية مستوحاة من القوى الغيبية. (طوالبي، 1988، صفحة 167)يترجم رموز دينية (الصلاة، الحج...) المقدس المشترك، التي هي فعل حر يعيد انتاج التمثلات ويعيد التوازن الى مقدس الاجتماعي من خلال التجربة الدينية.

2.3 الأنثى ورحلة الحج الى الضريح في موسوم الزيارة:

الزيارة رحلة حج دنيوية تشبح طقوس الحج الدينية تشتمل على الطواف والتضرع يحضر فيها طقس التضحية (الذّبيحة) ويغيب ويحضر حسب الزيارة (يومية، موسمية) يُحرَصُ على اعدادها وتقديمها للوافدين في وليمة جماعية (الاطعام، الوليمة) ينتفع منها الوافدين او عابري سبيل، فهي ترسخ التضامن (تويزة) والانتماء للولي والجماعة. حيث سيطرت بركة الولي على عقول الوافدين المحليين الذين وحدو الطقوسي بالديني في لحظة تأمل وامتثال لسلطة غيبية تشجع على استمرار الطقس (

الزيارة) الذي حافظ على قدسيته وابقى على ممارساته رغم التغيرات السوسيوثقافية الا انها ما يزال حاضرا في اذهان أبناء المنطقة(**الشرفة يعزازقة**) تجذبهم اليها بكل أعمارهم ومستوياتهم الاقتصادية والاجتماعية وحتى العلمية، تأخذ شكل مقنن يوحد وينظم الطقس؟، فهو لا يقتصر على فئة معينة او سن معين بل يلتف حوله الجميع في لحظة يتوحد فيها الحاضرون الذين يُحَافظون ويَحْفَظُونَ العهد بوليهم الذي يمنحهم الراحة والبركات، و تتشكل دينامية عميقة بينهم وبين الضريح تفسر انتشارها واستمرارها بين الأجيال على أنها رحلة البحث عن الانجاب والخصوبة والشفاء وصلاح الأبناء وغيرها من الاماني والرغبات المطلب الشرعي للزيارة الذي يحرك المشاعر الجمعية التي تحث عليه الزيارة وتباركها من خلال الإعدادات المنظم والذي يسهر عليه الذكور ويجسده الاناث، حيث تبين لنا من خلال تواجدنا اثناء الحدث ان الامر يشبه الخارطة لكل عنصر مكانه ومفهومه الذي يضمن النجاح، وعليه فان الطقس مرتب بأبجديات تحفظه وتحفظ الذاكرة وتحث عليها بداية من النية الى ان يختم بالدعاء وفق خطوات مضبوطة:

حضورالنية: النية شرط ضروري لتحقق الطقس، وتعنى الاعتقاد في إمكانيات وقدرة الولي بفعل كل الأشياء المرادة بالزيارة لبلوغ الرغبة والحاجة بهدف التخلص من السيطرة والاحتفاظ بالمسيطر في نفس الوقت، فالخوف من الطلاق بسبب عدم الانجاب مثلا يهدد استقرار الزواج ويوجه الاتهام على انها عاقر غير ان الزيارة ملاذها لاستعادة المكانة بالاعتقاد في سلطة خفية تعزى لعوارض غيبية (سحر، مس، عين...) تبعد عنها الاتهام وتبرئها من الضعف والنقص. وكأن الزيارة مانحة للحياة (الزوجة، الاسرة) وتسلم بتفسير الواقع بالخيال.(سميرة، 2017، صفحة 127)

نزع الحذاء: فعل الزامي لدخول الضَّريح. يحمل الاحترام وقداسة والتقدير والتبجيل. فالحذاء يحمل الدنس والنجاسة لذلك وجب نزعه احتراما للمكان باعتباره بيت من بيوت الله (مسجد، كعبة) يحصل فيها الاتصال الروحي.

باحثة دكتوراه محفوفي عقيلة1 أ.د مولاي مراد الحاج2
[1]جامعة وهران (2) محمد بن احمد (الجزائر[2]جامعة وهران(2) محمد بن احمد (الجزائر)
frakilamahfoufi385@gmail.com mhmourad@yahoo.

الوقوف على الضريح: حيث يعتقد النساء أو الزائرات أثناء تواجدهن داخل الضريح أن الولي يمثل سلطة روحية تستجيب لدعواتهن وتشفي اوجاعهن وتذهب ألمهن، وتحقق أمانيهن وتقضي حوائجهن في لحظة طقوسية تترجم فيها علاقة الوافدات بالولي كرمز مقدس. محاط بهالة من التبجيل وقوة فوق طبيعية لا تقتصر على الولي انما تتجسد في كل الموجودات المادية المحيطة به (تراب، قماش، هواء، ماء ...) فالفضاء بموجوداته فضاء قدسي للوافدات ويصبح شارة **طوطمية** لها مغزى ديني ودنيوي.(Durkheim, 1995, p. 192) لها إثر في تكوين صورة قدسية لهذا الولي (....) الذي يعكس الفضاء الطهر والصلاح ومصدر خير وبركة ورضا إلاهي، ويكون الشعور الجمعي الذي يبنى عليه التفاعل والممارسات الطقوسية (داخل الضريح) اثناء الزيارة. أما **غطاء الضريح** بألوانه فله قدسية لا تكتمل الا بحضور **الحنة والبخور والشمع والهبات والاضاحي والولائم** سواء داخل الضريح او خارجه تتشابك فيها مفاهيم الزيارة بالوليمة وبالاحتفال (العرس) وبالتالي فان الجسد الزائر يشفى ويفتح بهذه الاقفال الطقوسية التي يضمنها النظام الطقوسي الرمزي. وان كل هذه الواجبات الطقوسية تغذي الجسد الوافد للزيارة في لحظة تبادل رمزي يبني علاقة الطقوسي بالدنيوي.

اشعال الشموع: تجلب الزائرات معهن الشموع التي تقوم بإشعالها ووضعها في زاوية داخل الضريح كفعل الزامي اثناء الزيارة والوقوف على الضريح في لحظة انذماج وانفصال توحي بالاستسلام لقوى غيبية محركة ومحفزة على التحرر من الآلام.

الطواف بالضريح: الطواف داخل الضريح فعل يتجسد عند كل زيارة، يكون فيه الدوران حول الضريح سبع 07 مرات بالدعاء منها ما هو مسموع مفهوم (قرءان، دعاء، تضرع..) ومنها ما هو تمتمات غير مسموعة ولا مفهومة تُظهر الانكسار والخضوع في ملامح الوجه بالدموع والبكاء، هذا الفعل انثوي بامتياز. تلتقي فيه النسوة حول الضريح المغطى بغطاء يزيد الهيبة للمكان. لكل

لحاجته ومبتغاء في تعلق بالضريح والخشوع في لحظة طقوسية يتجسد الانفصال عن كل دنيوي. مثل طقس العبادة المنظم في الحج (الطواف) تقربا لله والسعي لنيل رضاه، فيتحول الضريح الى معلم مقدس يشبه المعالم الديني (الكعبة) ويصبح الطقس رحلة حج تشبه حج المسلمين لبيت الله والطواف حوله كفرض لاكتمال الطقس. وعليه فان هذا الدوران سبع مرات على الضريح يجسد فعل الطواف في العبادة الإسلامية (الحج) وان استعمال الرقم سبع له دلالاته الدينية (سبع سماوات، سبع بقرات، سبع أشواط، تكبيرات العيد....) فالعدد سبعة له قيمة عظيمة في الديانات السماوية والوثنية والاساطير وحتى الفلكلورية وفي تاريخ الحضارات.

الوليمة أو المعروف: الاطعام، الوليمة او المعروف تشير الى الطعام الذي يطهى أيام الطقس أو الزيارة أو ما يقدم من ذبائح (قرابين) للولي للتقرب منه (ذبح، إراقة الدم) والتي تعرف بالأضاحي، حيث يحضر لها قبل الموسم او الزيارة من خلال التنظيم في الاعداد بداية من جمع المال الى يوم الزيارة من اعداد الطعام وتوزيعه. وهذا الامر يعتبر نظاما اقتصاديا وتكافل اجتماعي قائم على المشاركة (الوعدة) فيقوى أواصر المحبة واللحمة الاجتماعية ويعيد للجماعة النسوية خاصة هبتها ويخلصها من الهيمنة والضعف. او ما يحمل الزائرون من طعام عند زيارتهم الولي او الضريح ، وان الطعام الذي يطهى يكون من نصيب الحاضرين أيام الزيارة او يوزع على المحتاجين وعابري السبيل ، وهي شرط أساسي ليُنال المراد وهي إما جماعية يشترك فيها الجماعة من تحضير واعداد او فردية يختص بها الفرد الزائر وأيا كانت فإنها تمثل التحام الملتقيين وتوحد بينهم في التشارك في الطعام الذي يوحدهم ويزيد من لحمتهم ويترك الأثر الطيب ويجلب البركات للجميع، وهي بمثابة صدقة لاكتمال الزيارة تتجاوز وليمة المعروف كونها مجرد حدث احتفالي الى كونها ترسخ الانتماء للعرش والقبيلة وله عدة مناسبات واهداف. فأحيانا تكون الوليمة كبش فداء يحمل في مضامينه الوفاء، مخترقة بقوى غيبية يندمج فيها الطقوسي بالديني كنظام له قوه البعث والحياة. فالولي تحكمه قوى غيبية تدفع

باحثة دكتوراه محفوفي عقيلة1 أ.د مولاي مراد الحاج2
[1]جامعة وهران (2) محمد بن احمد (الجزائر[2]جامعة وهران(2) محمد بن احمد (الجزائر)
mhmourad@yahoo. frakilamahfoufi385@gmail.com

بالمرأة الى التسليم بان ألامها النفسية والجسدية هي بيد قوى خفيه وان الخلاص منها يكون عبر تلك الممارسات الطقوسية، فاستبعاد العوارض البيولوجية مرهون بالخرافة والاسطورة التي يتقوى الاعتقاد فيها لا يستثني من ذلك الفهم حتى المتعلمات

التضرع والدعاء: الوافدات بالزيارة يدركن جيدا ان الدعاء روح الزيارة اثناء الوقوف على القبر والطواف به والترحم عليه ثم استحضار الايمانيات التي تزيد من التعلق بالضريح والمسح عليه والرجاء بالمساعدة واستجابة الدعاء (المرض، الزواج، الانجاب، الطلاق.....) الالحاح في الدعاء لقضاء الحوائج واستجابة الدعاء باسم الولي (جيتك وانا ندعيك تفرج عليا وتشفيني وتنحي عليا الهموم) وغيرها من الدعوات التي تحمل من الخضوع والتضرع ترجوه الرضا يشبه لحظة ايمانية اثناء الوقوف على قبر النبي صلى الله عليه وسلك يلتقي فيه الطقوسي بالديني والمقدس بالمدنس في العديد من الممارسات التي تجسد لحظة الاقتراب والذوبان في الطقس(اشعال الشموع، وضع البخور، اخض قطعة قماش، ترك أشياء، المسح على الضريح، تقديم الهبات والطعام...) وغيرها من الممارسات التي وقفنا عليها والدعاء لا يغادر افواههن (سيدي...) وكان اللحظة لحظة اقتراب اللاهي واندماج روحي تبحث عن الرضى والخلاص المرهون بتحقق الشروط اثناء التواجد بالضريح.

3.3. الزيارة النسوية رموز ودلالات:

طقوس الزيارة سواء كانت فردية أو جماعية تترجم الاعتقاد في الضريح (معلم قدسي) المقترن بالأفكار والصور الذهنية القوية التأثير مما يولد حالة انفعالية تدفه الى العديد من الممارسات (حركات كلام بكاء...) المترجمة لتلك الأفكار والصور الذهنية التي لم يتسنى لنا قراءتها ولا فك شفراتها لولا انتمائنا الى نفس الجنس مما سهل دخولنا لعمق الحدث والمشاركة حقيقيات في الحدث. فالعلاقة بين الديني والمقدس علاقة مستترة يصعب ادراكها الا من العلاقات التي تظهر من خلال تلك الممارسات للوافدات على الضريح المعتقدات في قوى وروح الولي الحاضرة معهن

وتمنحن القوة والشفاء والراحة وكأنه حاضر حي، هذه التمثلات المتجذرة في النسيج الاجتماعي المستبطنة هي ما تعرف ببركات الولي التي تتحول الى معنى ديني تجعله مقدسا يدفع على الاحيائية المستمرة التي ترجع العلاقة بالضريح بين الوافدات والوافدين التي تظهر على ملامحهم خوف (رهبة، دهشة، حب، طمأنينة، خشوع، اذلال....) يتجسد فيها الدعاء والرجاء وتتبعها ممارسات منذ لحظة الوقوف على الضريح(القبر) الى لحظة المغادرةمستمرة ودائمة من طرف الوافدين لا يخضع لاي رقابة قانونية او رسوم تدفع لقيامه. وتبقى فعاليته وآلياته استثمار وتوطئ جمعي يُنتج ويعيد انتاج الطقس المشروع والمعترف به داخل السياق الاجتماعي والثقافي كرأسمال ديني أو رمزي (الضريح، البناء، الموقع، الممارسات...) ينتج رأسمال اقتصادي بما يقدم من هبات للضريح (الخُدَّام) في لحظة التحام تتجسد فيها كل الممارسات دون شرط او قيد بشكل مادي ومعنوي وهو نوع من التدين الرسمي او السياسي.

بينت لنا التجربة الميدانية ان مجتمع البحث يبني الطقس على تقسيم جندري يجعل من الانثى الهدف والغاية، فحسب "**محند خليل**"المرأة المعنية بالزيارة للأضرحة والأولياء الصالحين أكثر من الرجل(Khelil، 1984، صفحة 26)، وكما ان الدخول للضريح فعل نسوي بامتيازرغم ان الزيارة جماعية لكلا الجنسين، تقوم على تقاسم الأدوار بينما يبقى ارتباط الأنثى بالطقس والامتثال لسلطته من خلال التفرد بالزيارة ودخول الضريح، وبعد المقابلات تبين ان الانثى موشومة بالنقص والضعف لهذا عد فعل التبرك والدعاء ملازما لها. حيث انها المعنية بالبركة والدعاء والبكاء، وبدخولها الى الضريح، حيث تمنحها الممارسة فسحة للتفريغ والتفاعل الاجتماعي فتفردهن بالزيارة يكرس أيضا فعل الهيمنة التي تحدث عنها بيير بورديو عن مجتمع القبائل وذلك الذي افضت له المقابلات في رحلة البحث عن الراحة ونيل البركات ، ذلك المطلب الشرعي للزيارة التي تحرك المشاعر الجمعية وتحث على الزيارة وذلك الاعداد المنظم الذي يحفظ الخصوصية ويضمن

باحثة دكتوراه محفوفي عقيلة1 أ.د مولاي مراد الحاج2
[1]جامعة وهران (2) محمد بن احمد (الجزائر[2]جامعة وهران(2) محمد بن احمد (الجزائر)
frakilamahfoufi385@gmail.com .mhmourad@yahoo

الاستمرارية .وبالتالي فان الطقس مرتب بأبجديات وخوارزميات جد منظمة تحفظ الهوية والذاكرة وتحث عليه بداية من النية الى الختم بالدعاء والانصراف. كما يلتحم الفعل الطقوسي لأجل الديني وحصول المنفعة وبلوغ المبتغى او البركة المرجوة، اما الحاصل في فعل الزيارة فهو متشابك مركب ومتكامل يشتمل على العديد من الوظائف الرمزية كفعل اجتماعي ونظام رمزي حسب بيير بورديو يشتمل على:

- رأسمال رمزي: بركة الزيارة والوقوف على الضريح.
- رأسمال اجتماعي: يظهر من خلال التضامن الذي يجمل بين الوافدين خلال موسم الزيارة
- رأسمال اقتصادي: تلك الهبات (أكل، بخور، شموع، هدايا...) التي يحضرها الوافدين.

إنهذه الزيارة تقوي الرابطالهوياتي وتعمل على ترسيخه في ذهن من يعايش الحدث وتتعداه الى إعادة انتاجه بين الأجيال للتعبير عن الهوية الامازيغية وتعزيز الارتباط بالولي (المرابطين) الذي يهبهم المكانة والسلطة. وتعيد انتاج المعاني والدلالات الاجتماعية تجمع الفرجوي التفاعلي والديني الدنيوي والقدسي الروحاني. في حضرة المقدس (الولي) حيث يتحرر الوافدات من الروتين والرتابة اليومية لينخرطن في موسم الزيارة في يوم محدد الزمان والمكان والممارسات كنظام يتطلب الامتثال لنجاحه. وعندما نقول زمان فاننا نعني حدوث الزيارة مرتبط بموسم معين وعادة **عاشوراء** الذي يعطي معنى للطقس. بينما تعمل تلك اللقاءات والتفاعلات على خلق علاقات اجتماعية وحميمية بين الفاعلين من كل الطبقات والمستويات تعمل على ديمومة العلاقات القبلية واستمرارها وتحقيق التوازن والانسجام المجتمعي الذي يحمل الذاكرة الجماعية ويحفظ وديمومتها هويتها، وفاء لوليهم مصدر الحمة والتحالف الاجتماعي والأخلاقي يعاد فيه انتاج قيم الجماعة ويربط الفرد بجسد القبيلة والمجموعة. فمكان الولي (الضريح) يحمل دلالات من المعجزات والبركات التي تورث بالأبناء

(أولاد فلان) ولذلك تجد حول الضريح اتباع وخدام هم المعرفون بابناء واحفاد الشيخ او اهل البيت المخول لهم فعل الطقس بكل ممارساته.

4. الخاتمة:

تتميز مدينة تيزي وزو وتحديدا قرية الشرفاء **بعزازقة** بعدد من الاولياء الصالحية الذين يعتقد في بركاتهم وكراماتهم، ويصعب حصره في دراسة واحدة بعينها، وان هذا التنوع يحكمه تنظيم محكم ينم عن خصوصية حاولنا الوقوف على اهم مرتكزاتها وما قدمناه يعتبر نقطة في بحص الممارسات والطقوس المرتبطة بزيارة الاضرحة والاولياء الصالحين وان هذا الزخم السوسيوثقافي يحتاج الى التفاف الدارسين اليه خاصة من الانثروبولوجيين للتعمق وفك الشفرات وفهم الرموز والدلالات

5. قائمة المراجع:

المراجع باللغة الأجنبية:

1. ادموند دوتي(2014)، الصلحاء "مدونات عن الاسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر"، تر: محمد ناجي بن عمر، افريقيا الشرق، المغرب.
2. حسن رشيق (2010)، سيدي شمهروش" السياسي في الطلس الكبير " تر: عبد المجيد جحفة ومصطفى النحال، افريقيا الشرق، المغرب.
3. سميرة منـاد (2017)، طقـوس زيارة الأضـرحة في مسـتغانم مقاربـة انثروبولوجية،مجلـة العلـوم الاجتماعية المجلد 4، العدد 06.

4. سيراج الجيلالي (2004)، صناعة الولي "دراسة انثروبولوجية في الصحراء الغربية "، ط1، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة.
5. مبارك الميلي (2001)**رسالة الشرك ومظاهره**، ط1، دار الراية، السعودية.
6. نور الدين طوالبي(1988) الطقوس والتغيرات، منشورات عويدات، باريس.
7. نور الدين الزاهي (2005)، المقدس الإسلامي، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب.

المراجع باللغة الأجنبية:

1. Emile Durkheim, the Elementary Forms of the religious life, the Library of university of California Los Angeles, p192.
2. Mohand Khelil, la Kabylie où l'ancêtre sacrifié, édition L'Harmattan, paris, 1984.p26